الرأي العام في وسائل الاعلام؛ هذا التأثير الذي لمسه الغرب في حرب فيتنام قديماً، وفي الانتفاضة الفلسطينية حالياً، فوضعت خطة اعلامية مشتركة قبل اندلاع الحرب هدفها الحؤول بين صدام حسين وتوظيف التعاطف الشعبي العربي لمصلحته، وذلك بفرضهم حصاراً على مجريات الحرب، وبثّ بلاغات كاذبة ومتناقضة، والتقليل، الى أقصى حدّ ممكن، من الاعلان عن خسائر الحلفاء، وتضخيم الخسائر التي تصيب العراق.

(٥) كان هذا من اسباب ضعف الموقف العراقي، ليس فقط على المستوى العسكري، اي وقوفه وحيداً في مواجهة دولة، بل على المستوى المعنوي السياسي، حيث شكّك البعض في مصداقية الخطاب القومي لصدام حسين، بالقول: «انه لا يمكن ان يكون العراق وحده محقّاً وكل الأنظمة العربية على خطأ»؛ كما ان غزو العراق الكويت زاد في تفسّخ الموقف العربي الرسمي وليس في ابقائه على الحد الادنى من التضامن، وهو التضامن المطلوب في اي عمل يراد له ان يكون قومياً، وعلى مستوى مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية.

(٦) مثال على ذلك، ان الرئيس الجزائري الاسبق، احمد بن بيّلا، كشف، في حديث له، عن ان العراق طلب، خلال الأزمة، مئة مليون دولار من الجزائر؛ وان حكومة الجزائر رفضت تقديم المبلغ؛ كما زعمت المعارضة ان الدماء التي جمعها الهلال الاحمر الجزائري لمصلحة الشعب العراقي خلال الحرب، قد بيعت لفرنسا.

(٧) وهذه من أوجه الاختلاف بين جمال عبدالناصر وصدام حسين. فمع ان كليهما كان يرفع خطاباً قومياً، ومع ان مصر الناصرية كانت أقل قوة عسكرية من قوة العراق قبيل الحرب، الّا ان عبدالناصر كان يحظى ليس فقط بالتأييد الشعبي العارم، بل وبتأييد بعض الانظمة العربية ودول العالم الثالث ودول المنظومة الاشتراكية. وهذا التأييد كان مصدر قوة كبيرة لعبدالناصر، عكس ما هو الامر مع العراق اليوم. وربما مرجع ذلك الاختلاف، بالاضافة الى التحوّلات في النظام الدولي وضعف الحركة التحررية العربية والعالمية، وحالة القهر والتيئيس التي تعيشها الجماهير العربية، هو ان المواجهة التي دخل فيها صدام حسين كانت، في البداية، ضد دولة عربية، وليس ضد اسرائيل والمصالح الغربية.

(٨) لهذا الامر معان عدة؛ فهو، من جهة، يظهر ان الجماهير العربية، بمن فيها المثقفون وحتى الانظمة المتعاطفة مع العراق، فوجئت بالازمة، وبالتالي لم تتوفر لها الفرصة لدرس ابعادها ومراميها؛ ومن جهة ثانية، انه يظهر غياب الجماهير عن صناعة القرار السياسي، فهي لم تساهم في اتخاذ قرار الحرب، وبالتالي كيف لها ان تعرف اهدافها الحقيقية؛ ومن جهة ثالثة، يعكس هذا الغموض في الموقف العربي شيئاً من العقلية العربية الاتكالية والقدرية والارتكاسية، عقلية تغلغلت فيها الهزيمة، وفقدت ارادة الفعل، واقتصر دورها على ردّ الفعل على فعل يقوم به الآخر. وحيث انها تعودت على الهزائم، فقد أصبح همّها هو التخطيط لما بعد الهزيمة وكيفية مواجهة أخطارها. فهي لم تتعود على النصر لتبحث في آفاق هذا النصر. فالتاريخ العربي المعاصر تاريخ هزائم؛ امّا النصر، فهو زائر عابر يأتي او لا يأتي. ومن جهة أخيرة، فان جزءاً من تعاطف الجماهير العربية مع العراق ينطلق من المثل القائل: «ليس حباً بعلي، ولكن كرهاً بمعاوية».

(٩) ومن هنا يكمن فهم الاهتمام الذي تحظى به الحركات المتطرفة، اسلامية وغيرها، من قبل الشارع العربي. فمرجع هذا الاهتمام، كما نعتقد، ليس الفكر الذي تتبنّاه هذه الحركات، لأنه غالباً لا يخرج عن اطار الايديولوجيات السائدة، ولكن سببه تجاوز هذه الحركات، بالنقد النظري والممارسة العملية، للواقع العربي، انظمة وأحزاباً ومؤسسات، ولجوئها الى العنف كمظهر من مظاهر رفض الشرعية السائدة للأنظمة وللمعارضة أيضاً. هذا العنف، وانْ كان ذا تأثير مادي محدود، فان تأثيره المعنوي على الجماهير كبير جداً، لأنه يجسّد حالة الرفض في أقصى معانيها. وعليه، فان الجماهير تعمل مقارنة بين واقع رديء واي قوة صاعدة ترفض الواقع وتتجاوزه الممارسة، فتسير وراء هذه الاخيرة. ومن هنا كان شقّا المقارنة التي عملتها الجماهير العربية المسحوقة والرافضة للواقع بكل معطياته، بين الانظمة العربية، وبين صدام حسين؛ الاول يجسّد الواقع المرفوض، والثاني يجسّد، بالنسبة اليها، النقيض لهذا الواقع، لأنه تمرّد عليه ويسعى، بالممارسة، الى تغييره. انها مع العراق، لأن العراق مع التغيير، ولكن التغيير الى أين؟ هذا ما لا اجابة عنه.

(١٠) هذا الشك كانت تحسّ به حتى القيادة الفلسطينية. فما هو معروف ان مبادرة صدام حسين الداعية الى الربط بين مختلف مشاكل المنطقة،